المرأة والدور الاستثنائي

داليا جواد

بامكاننا القول ان المرأة تعي حقيقة دورها، فهي يؤدي واجباتها في البيت، مثلما تؤدي واجبها في العمل. وهذا يخلق منها انساناً سوياً غير معطل، يؤدي دوراً لا يقل شأناً عن الدور الذي يقوم به الرجل في الحياة، ففي مقدمة الحقوق المطلوبة للمرأة الاعتراف الكامل بشخصيتها وعدم التفريق بحقها مع الرجل سواء كان سياسياً ام اجتماعياً ويبدو ان هذا الدور الذي تقوم به المرأة يتعرض الى التهميش والى انواع من المحاربة من قبل الكثيرين الذين لا يفهمون حقيقة المرأة، ودواعي تحقيق مطلبها الحياتي مما جعلها اكثر قوة واصراراً وتماسكاً من اجل عدم ترك مكانها فارغاً كي يشغله الاخر الذي هو الرجل وتمنح نقطة لغير صالحها في عملية استمرار الحياة، وسيرها في الطريق الصحيح ولانها ايضاً مسؤولية كبيرة في وضعها الاجتماعي والسياسي فهي في اكثر الاحيان تخضع لتقاليد بالية وتدافع عنها مرغمة كي لا يتبرأ منها مجتمعنا او حتى يلغى وجودها. فان كان الرجل يتعرض للقتل المتعمد والارهاب، فالمرأة كذلك تتعرض لذلك، وكأن في هذا توافقاً على اداء الدور المناط بكليهما.

والمرأة في ظروفنا هذه، هي عنفوان واصرار على التواصل. وفي كل يوم تضاف الى مهمتها واعبائها مهمة جديدة تجعلها في خضم الصراع الدائر الان في وطننا، وهذا لا يأتي بسبب اقصاء الرجل لدورها، وانما يأتي بسبب الوضع المتأزم والمتفجر في كل مكان من بلدنا.

فعشرات الشهداء الذين يسقطون يومياً، تتسلم المرأة ادارة ما يتعلق بهم ومنها العائلة من بعدهم وهذه المسؤولية تتضاعف نتيجة للخراب الذي خلفته الانظمة الاستبدادية والديكتاتورية، فالابناء باتوا من مسؤولية المرأة وهي تؤدي دوراً مزدوجاً دور الاب والام معاً، بعد ان كانت تؤدي دور الام حسب. وهذا يتطلب منها جهداً استثنائياً وهمة اضافية تضاف الى مهمتها الاساسية، مما يجعلها امام مسؤولية كبيرة في جميع نواحي الحياة لكي تهتم بمعالجتها الجدية. الان وبعد كل هذا كيف علينا النظر الى المرأة؟ الدلائل والوقائع التي تشير وتؤكد اهمية المراة ودورها المتميز والبارز في عملية بناء البلد، ولا سيما في هذا الظرف الصعب الذي يفرض نفسه علينا، اذاً المرأة العراقية هي استثنائية وقادرة على تقديم كل ما هو جديد ومتألق دون ان تصاب بالاحباط او اليأس ، وفي اصعب الظروف.

هواجس امراة

الدكتورة جوان فؤاد معصوم وزيرة الاتصالات لـ (المدى)

للمرأة العراقية دور لا يمكن ان يمحى من الذاكرة

اجرى الحوار: جمال كريم
تصوير: سمير هادي

> في حوار صريح ومباشر التقت (المدى) الدكتورة جوان فؤاد معصوم وزيرة الاتصالات لتحدثنا عن شؤون المرأة ودورها في بناء عراق جديد فضلاً عن طموحاتها.

> ولدت وانا احمل اصراراً على الحياة

❖ المرأة العراقية وعلى مر تاريخ انظمة الاستبداد والقمع، تعرضت الى انتهاكات لا انسانية طالت حريتها وحقوقها وهدر كرامتها. والنظام السابق كان يفعل كل ذلك علناً وفي وضح النهار. وفي عملية التحول السياسي الجارية الان، تحاول بعض الكيانات والكتل السياسية ان تسطو مرة اخرى. على حقوق المرأة لاعادة مشهد صورة الجلاد والضحية كيف تقيمين هذه الظاهرة؟

– بلا مقدمات تزويقية، اقول: هناك بعض الافكار التي تروج لها بعض الكتل والكيانات السياسية تعمل بهذا الاتجاه. وهناك اسباب موضوعية كثيرة تؤدي الى ظهور وبروز تلك الافكار، والبطالة واحدة من تلك الاسباب لكن هناك بالتأكيد من يدعو الى احترام حقوق النساء وخياراتهن في الحياة. وقد لا نختلف في قضية ان الدين هو الشيء الوحيد الثابت في حياتنا. بالرغم من وجود تحولات سياسية واجتماعية متغيرة ومتجددة دائماً هناك من يسعى الى جعل الدين سلاحاً. يستخدم ضد الجميع وليس ضد المرأة فقط.

❖ خاضت المرأة العراقية وكما مشهود لها في تاريخ العراق السياسي الحديث نضالات طويلة، كيف تنظرين اليوم، الى دور المرأة في عملية التحول السياسي لبناء عراق ديمقراطي حر وفيدرالي موحد، خاصة وان هناك كما يبدو واضحاً مخالب ذكورية تحاول ان تشوه وجه المرأة العراقية النضالي؟

– بلا شك المرأة العراقية كان لها دور لا يمكن ان يمحى من الذاكرة العراقية، وهي تمارس الدور نفسه اليوم فهناك عضوات في الجمعية الوطنية كما تجدهن يسهمن في صياغة مسودة الدستور، ويشاركن في المناقشات والسجالات في الجمعية الوطنية. اذن، الامرأة العراقية تتكلم وتشارك ولها حضور واضح، لكن عددهن قليل .. علينا ان ننظر الى الصورة من نواحي مختلفة لكي تكون احكامنا على دورها الكبير موضوعية ومنصفة.

❖ قانون ادارة الدولة اقر ان تكون مشاركة المرأة في الجمعية الوطنية بنسبة ٢٥٪ المشاركات، فعلاً ، هل يمثلن طموح المرأة العراقية؟

– علينا ان نعترف ان غالبيتهن يشاركن في عمليات التصويت ويبدين آراءهن في مختلف شؤون وقضايا الوطن، الغالبية منهن، مثقفات ولا يخفن من ابداء الرأي وارى انهن يشاركن بطريقة فعالة، من جهة اخرى فان السؤال نفسه من الممكن اثارته وتوجيهه للرجال، فهل هم ايضاً يمثلون الطموح؟!

❖ خدمات الاتصالات الارضية، كما هو شائع، ما زالت دون المستوى المطلوب، فبالاضافة الى انقطاعات الخطوط ولشهور طويلة في بعض مناطق العاصمة بغداد فان هناك شبه انعدام للاتصال بالمحافظات، ناهيك عن انعدام الاتصالات الدولية، برأيك الى متى تبقى مثل هذه المشكلات دون معالجة، وفي الافق مواطن يتطلع بفارغ الصبر الى خدمات افضل؟

– نحن ننظر بجدية الى وضع الحلول والمعالجات الناجعة لتلك المشاكل، وقد اعلنا عن مناقصات كثيرة لتحسين البنية التحتية لشبكة الاتصالات في العراق، وقد واجهتنا في ذلك اشكالات كثيرة، اذكر منها: توفير التخصصات المالية وتحديد المبلغ لان اية مناقصة باكثر من ثلاثة ملايين دولار، يجب ان ناخذ موافقة لجنة العقود في مجلس الوزراء، طبعاً هذا يتطلب وقتاً طويلاً وهو بلا شك يؤثر بشكل مباشر في صبر المواطن النافد اصلاً!

❖ هناك قرار واضح وصريح، صدر من مجلس الوزراء باحتساب سنوات خدمة الفصل السياسي لاغراض الترفيع والتقاعد لكن اكثر الوزارات الى الان لم تطبق هذا القرار فضلاً عن ان اكثر المعادين الى الخدمة ما زالوا يعانون التهميش في اماكن اعمالهم كيف تنظر وزارتكم الى هذه المسالة؟

– دعني اوضح: ان كلمة تهميش هنا، خاطئة تماماً لان وزارة الاتصالات وزارة فنية، وعادة فان أي احد من منتسبيها اذا ما ترك عمله فانه سيحتاج الى اعادة او صناعة معلومات جديدة، خاصة ونحن نعيش في عصر ثورة معلومات لذلك ومن هذا الفهم لا يوجد في وزارتنا تهميش لاحد ولو كان هناك موظف غير منتج او معطاء فمن الممكن احالته على المعاش بدلاً من التهميش، اما المفصولون السياسون فان اكثرهم يطلبون اماكن ادارية، بل يطالبون بمراكز تبعاً لسنوات خدمتهم الطويلة وهذا لا يمكن تنفيذه ولهذا فان الوزارة تقوم باعدادهم اعداداً جديداً من خلال اشراكهم في الدورات التي تعدهم وفق مفاهيم واطر عمل حديثة.

❖ بين بيت الصرخة الاولى، اعني الولادة، وحتى هذه اللحظة في ديوان وزارة الاتصالات ثمة ذاكرة وتاريخ واحداث كيف تنظرين الى كل ذلك من خلال نافذة الحياة الجديدة؟

– انا دائماً، ومنذ شرارة الوعي الاولى بل منذ براءة الطفولة متفائلة، كانني ولدت وانا احمل اصراراً على الحياة، لذلك تجدني لا انظر الى الحياة الا من نافذة التفاؤل، وما زالت الى الان اراهن على هذه النافذة ولا اتذكر انني تسرعت في عمل او في شيء عما اسعى اليه في الحياة من مختلف نواحيها وجوانبها بل على العكس من ذلك احاول، دائماً ان ادرس ما انوي عمله بتركيز شديد وواع، وحتى لو واجهتني –وهذا امر طبيعي– بعض الاشكالات والمعرقلات فانني دائماً، ما افكر بتجاوزها وفق احكام عقلانية ومنطقية، اذكر انني كنت في العام ١٩٩٠ طالبة لنيل شهادة البكالوريوس من قسم الكهرباء الالكترونية، كنا ضمن ١٢٠ طالباً من الذكور وكنت وزميلة لي في القسم المذكور، اواصل دراستي بكل اصرار وتحد وهكذا واصلت ودراستي الاكاديمية دون نلكؤ او ارباك وهذا هو اسلوبي العام في الحياة.

❖ الدكتورة جوان فؤاد معصوم، لو لم تكن وزيرة للاتصالات، ماذا يمكن ان تكون؟

– بكل تأكيد، سأكون في القطاع الخاص، وبالتحديد في شركات الاتصالات أي انني سأعمل في مجال اختصاصي الاكايمي.

الوزيرة مع المحرر

ذاكرة امرأة عراقية

تفتح صفحة النصف الآخر، نافذة لذاكرة المرأة العراقية المناضلة كي تكتب تاريخ وقفتها المشهودة والنادرة في تاريخ النضال السياسي للشعب العراقي بكل تياراته السياسية والفكرية التي قارعت حكم الطاغية وقدمت المرأة العراقية على مذبح حريتها ثمناً باهظاً شهيدة وسجينة ومنفية، نساء من طراز خاص تحدين إرهاب الدولة وصرخن عالياً بـ(يعيش العراق) وهن متوجهات إلى ساحة الاعدام أو حبل المشنقة، وتحملن كل عسف وألم زنزانات النظام المقبور. امراة عراقية أخفت زوجها وأبنها واخاها وحبيبها بل وجارها، عن أعين فئران الزيتوني البؤساء هذه المرأة مطلوب منها ان تكتب هذا التاريخ الحقيق للمرأة العراقية لا تاريخ اتحاد النساء وحفلات نادي الصيد! النصف الآخر تفتح هذه النافذة، لذكريات عن عراقية استشهدت اعداماً بالرصاص وقبل ذلك حملت السلام دفاعاً عن عراق ديمقراطي. صديقة لها عايشت الشهيدة حتى اللحظات الأخيرة. تكتب عن (أم لينا) مناضلة وشهيدة.

(أم لينا) علمتني عن سعدي يوسف :حين صافحتني صار كل اغترابي هاجساً للجذور

رفضوا طلبها الاخير برؤية ابنتها، فبصقت بوجه الجلادين وصرخت (يعيش العراق)

(الحلقة الثانية)

بغداد / طاهرة داخل

بعد لحظات وقفت امامي سيارة كراون حديثة جداً وكأن سائقها يعلم بوجهتي اذ وافق على ان يوصلني دون ان يهتم بمبلغ الاجرة ثم ترجل متعجلاً وفتح صندوق السيارة وادخل الفراش وباقي الاغراض فيه.

لم تعجبني نظارته السوداء وقطعة القطن التي يخفي بها احدى عينيه. وبدأ اول الرحلة باول الاسئلة: " بلا فضول او ازعاج ما ادري (حضرتج المن رايحة؟) اقصد يعني (منو عندج هناك)؟

حاولت التملص من الجواب الا انه حاصرني باسئلة اكثر فاخترعت له قصة من الخيال فأحسست ان غضباً خبيثاً بدأ ينفلت من اصابع يديه، واضطراباً واضحاً في ردود افعاله. اذ يزيد من السرعة ثم يقللها ويدوس على الكابح ويستخدم المنبه دونما حاجة.

اضطرابه جعل كل شيء يتأرجح داخلي، القلق، الشك، حتى الفطور القليل الذي تناولته اخذ يغلي بحركة تصاعدية وكدت اصيح: انقذوني، وكأن امراً مريعاً سيرمي بي الى عالم مجهول او الى كابوس من الكوابيس الصدامية ولا ينتهي.

احسست ان ضباباً كثيفاً يغطي عيناني الا انني قلت لنفسي:

" لقد اتخذت خطوتك ولا تتراجعي ودعي الامور ترتب نفسها"

وفي (هوجة) الحوارات وقف السائق وقال لي: وصلنا سأساعدك في نقل الحاجيات حين وضعت قدمي على الارض احسست انني استعدت كل قوتي للمرة الثانية، واللحظات التي شعرت بها انني خائرة القوى ومفككة الاوصال تلاشت وكأن زوبعتها لم تفعل فعلها بجسدي قبل قليل. حملت باقي الاغراض وعدلت من عبائتي وقلت (بسم الله) ودخلت ، السائق الذي اوصلني وضع الاغراض على الارض امام غرفة الضابط وتبادل التحايا مع الجميع وكأنه زبون مالوف وغادر.

– " السلام عليكم" قلتها بطريقة ارتجالية كمن يدخل الى مقهى يكثر فيه كبار السن، وكأني اعلن عن شجاعة كنت اتعقبها في داخلي كي امسك بها واستعيد توازني.

استقبلني الضابط بابتسامة ولباقة. ولم استغرب ذلك السلوك الثعالبي وجلست في انتظار ان يبدأ الحديث اولا وسكت هو في انتظار ان ابدأ الحديث اولاً. عرفت اللعبة فبادرت بالسؤال: لا ادري من هاتفني من طرفكم واخبرني بموضوع " ام لينا"؟

– " نعم ام لينا موجودة عندنا وهي انسانة محترمة بصراحة، هي خوش ام لينة".

– صحيح هي كانت جارتنا وانت تعرف العراقيين وعشرتهم فايدني بنفس الابتسامة وهز رأسه فسألته بتردد:

– " شبيهة ام لينا؟ خير؟ شنو الموضوع؟!

– بصراحة قضيتها سياسية.

– اكدر اشوفها رحمه لوالديك؟

اجابني وهو يحيي بعض النساء اللائي جئن لتفتيش الاغراض:

– في الحقيقة (ام لينا) في الحجز رقم (٣) ولا يمكن رؤيتها وهي بخير وصحتها جيدة وازيدك علماً ان هناك العديد من النساء المثقفات موجودات في الحجز . لدينا دكتورات واستاذات جامعيات.

لم استغرب حينها، ولم اهتم حين كان يدافع عن المستوى الاخلاقي لسجيناته الا انني فعلاً لم اكن اعلم ان الحجز رقم (٣) لمن اتهمن بتهم سياسة (عظمى) حسبما يسمونها آنذاك وربما سيحكم على معظمهن بالاعدام.

صمت بعدها ولم انطق بكلمة واحدة، اعطيته الرسالة التي كتبتها لها.

واعطيته النقود، وقبل ان انهض تقدمت مخلوقة ضئيلة تحمل صينية فيها شاي وماء وضعته على المنضدة الصغيرة التي امامي.

تنبهت الى الخواتم الذهبية والفضية التي تملأ اصابعها وكان بعض منها قد صيغ على حروف ((n)، (m)، (s)) او فيها شذرات يكمن خلفها ذوق لنساء شابات. هذه الخواتم بالتأكيد للسجينات اللائي يرشينها بها مقابل طلبات ربما تكون بسيطة جداً.

اشار الضابط اليها قائلاً انها مصرية احرقت زوجها ومسجونة هنا في العراق مؤبد. كانت تلك المخلوقة تخدم الموجودين، فتنتقل بحرية داخل السجن. و " ام لينا" ممنوعة عليها الزيارة، بعد ايام جاءت العائلة لتسأل عن " رمية جبر".

تقول والدتها: ان الشرطة، طردتهم من باب السجن قالوا لهم " ابنتكم انتقلت من هنا، ولا نعرف اين ، لا تأتوا لزيارتها بعد الان" الا ان الحقيقة التي اضع بينها وبيني كل حواجز العالم كي لا اصدقها ان " رسمية جبر" البطلة التي قاومت الصداميين من الشمال الى الجنوب وحتى اخر انفاسها قد اعدمت.

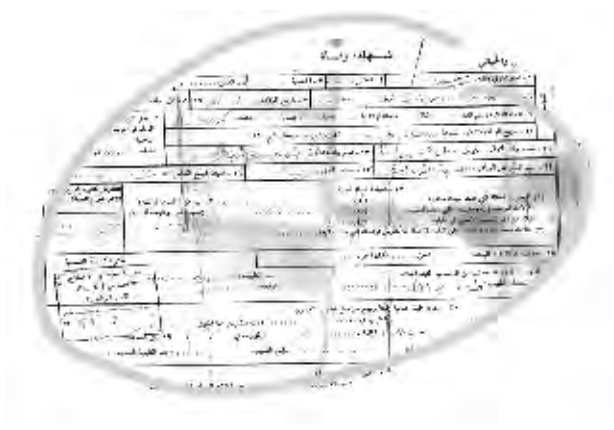

الصدفة المهولة

مصادفة عجيبة تلك التي كشفت كل شيء ، احدى العاملات التي تعمل في المعمل نفسه الذي اعمل فيه كاتبة كانت محتجزة مع اختها لانتماء زوج اختها لـ (حزب الدعوة) وهي التي اعطت هاتف المعمل لام لينا ولانها كانت يائسة وتريد ان توصل خبر احتجازها ليتحرز الآخرون فاتصلت بي، وانا متأكدة انها كابدت كثيراً قبل ان تتصل بي لانها تخاف علينا جميعاً. وبعد ان خرجت هذه الفتاة من السجن حدثتني عن يوم اعدامها وقالت :

– حين اقتادوها، كانت تعتقد انهم نفذوا طلبها الاخير، وهو استدعاؤهم لابنتها ووالدتها وهما بانتظارها الان. لكن الاجواء التي احاطت بأسلوب اقتيادها اشعرها بأنهم سينفذون فيها حكم الاعدام.

وتستطرد هذه الفتاة بتأثر: " ان ام لينا قالت لهم: يا سفلة طلب واحد واخير امي وابنتي ليش يا سفلة؟ وبصقت غاضبة في وجوههم. عندها اسرعوا في اقتيادها فأخذت تصرخ:

عاش العراق .. عاش العراق

لا ادري كيف تحملت الفرقة والغربة وقذارات الاستجواب؟!

وكيف كنت صبورة وشجاعة ولم تبدلي كلمتك، ولم تتنازلي!

ليتك تعلمين كم احسد شجاعتك حتى وانت شهيدة.

وكم اجل كل خطواتك.

لقد ارعبني الطريق اليك فكيف احتملت انت رحلة الطريق كلها من البداية حتى النهاية.

العجيب في الامر ان فعل البعثيين اوقع اثراً في نفس لينا تجاه والدتها اذ تعتقد انهم مجرمون ولا يمكن مواجهتهم وان والدتها فرطت بها وبحياتها حين انتصبت مثل شوكة في عيونهم. هكذا تعتقد لينا مما جعلها تتزوج وهي صغيرة السن وتنجب عدة اولاد لتعوض ما فقدته من خلال امومتها.

" لينا" لا تدري بذلك الاحساس الجارف الذي كان يجتاح جوارح والدتها وهي تطالب بلا انقطاع في تحقيق الامنية الاخيرة لتراها. الا انها تدري بالتأكيد ان البطلة التي احتضنتها تربة العراق، هي الوحيدة من اسرتها التي بقيت على ارض العراق اذ ان جميعهم قد غادروه.

وهي الوحيدة التي تواسي بشهادتها وبسالتها عوائل الشهداء من الذين ساروا في طريق نضالها الطويل في كربلاء ومحافظات اخرى.

وهي الوحيدة التي لم تمتلك (عقاراً او رصيداً او ملاوي ذهب). هي التي آمنت بالقضية واستشهدت لاجلها.

كانت صديقة لقلق حزين، وحدها تواجه المصير، وصرخات من الالم تتلاشى وتصير تضرعاً في صمتها لا صوت غير صوت الصمت، هو من يتكلم بداخلها يواسي انسانيتها المهدورة ويراقب طقوس موتها.

وفجأة تتدفق نافورات الحياة حلوة وبريق اضواء تتناثر من السماء تستقبلها انفاسها بفرح معلنة عن شهادتها ورحيلها